وهنا نسأل حضرة الاب المشار اليهِ مقصدهُ من قولهِ: « وربَّما يشتدّ لظى النيران الداخليَّة حتى تظهر مفاعيلهُ في الخطَّين معاً اعني في الخطّ الساحليّ والخطّ الشرقيّ . المشرق ١ : ٣٣٧ » . وفي ظنّنا ان حضرتهُ يشير الى عكس فعل زلازل الخطّ الشرقي البركانيَّة في الخطّ الساحليّ لا الى فعل النيران فيهِ . ومع هذا فلا بُدَّ من ان تكون مراجل الخطّ الشرقيّ الارضيَّة في معظم الغليان حتى يعكس فعلها الى الساحل لان بينهما جبالاً تمنع انتشار الهزّات في الخطَّين معاً على ما رأيناهُ في جبال الابنين في ايطالية وجبال الاند في اميركة . والنواميس الطبيعيَّة في كل اينٍ وآنٍ واحدة لا تتغيَّر

وقال حضرتهُ ايضاً في البشير : « انَّ الزلازل في سوريَّة تبتدئ عادةً في الشمال الشرقيّ من حلب في نواحي روم قلعة وبيرجيك قبل ان تصيب بقيَّة سوريَّة » كما أيدتهُ بعد مدة زلزلة خامس كانون الثاني الآنفة الذكر . ولعلَّ السبب في ذلك كثرة اختلال موازنة الطبقات الارضية هنالك فاقلّ شيء يزيل روابطها الضعيفة فتتزلزل وتزعزع الطبقة التي بجانبها وهلمَّ جرًّا حتى يهتزّ كلّ الخطّ

ولاحظ حضرتهُ انَّ بيروت « وان لم تكن بمأمن عن الزلازل تُرداد يوماً فيوماً ثبوتاً وان وقوع مثل هذه الطوارئ يخفّ مع الايام تواردًا وضررًا » لكنَّهُ يتوقَّع خطرًا من « اتساعها وعلوّ طبقات منازلها وقلة الاعتناء بتوثيق ابنيتها . اذا ما البتَّ بها يوماً نكبة الزلازل الشديدة » والعياذ بالله وهو سبحانهُ الواقي المعين

دمشق واسماؤها القديمة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

دمشق مدينة عاديَّة خطيرة الشأن لا يخلو كتاب قديم من ذكرها . وقد ورد اسمها مرارًا في الاسفار الكريمة كما سُطِّر في الكتابات المصريَّة والاشوريَّة قبل عهد الكتب المنزلة ومع تكرار هذا الاسم منذ القدم لا تكاد تجد في صُوَر كتاباتهِ العديدة اختلافاً يذكر كما سيأتي

فانَّ العبرانيين يدعونها דמשק (دَمَسق) . وهو اسم لم يتفق العلماء على معناهُ (١ .

(١ راجع قاموس العلَّامة جزنيوس (Thesaurus) في الصفحة ٣٥٥ من الجزء الاول . على

وقد ذُكرت دمشق في مكاتبات تل العمارنة على صورة « دمسقا » و « دِمَسقي ». وصورتها في المخطوطات المصرية « تِمسقو » او « دِمَسقو ». والغالب في الكتابات الاشورية « دِمَشقي او « دِمَشقا » بتشديد الميم او تخفيفها

اما الآراميون فقد احبوا ان يفتحوا راء بين الحرفين الاولين فقالوا דרמשק (درمسق) كما حُرّرت في الكتاب الاول من سفر الايام (١٨ : ٦،٩). وهذه صورتها في السريانية باشباع ما قبل الآخر ܕܪܡܣܩ (درمسوق) وفي اللغة التلمودية باشباع الاول דורמסקין (دورمسقين)

ولدمشق ونواحيها في الكتابات الآشورية اسمٌ آخر وهو « غارامِيرِشو » او بحذف الاول « اميريشو » و « اميريش » وفسّروهُ « بقلعة الاموريين » واستنتجوا من هذا الاسم انّ الاموريين ملكوا على دمشق ونواحيها. وقد زعم هوبت (Haupt) انّ لدمشق اسماً ثالثاً غريباً في اللغة البابلية وهو « شاميري شو » وفسّرهُ « بمدينة حيرها » ولعلّ في ذلك كناية فكاهية الى الاسم السابق

اما اليونان والرومان فانهم لم يختلفوا البتة في اسم دمشق فدعوها Δαμασκός Damascus (دَمَسقوس). على ان اسطفان البوزنطي ادّعى ان اصل الكلمة باليونانية Δαρμασκός (درمسقوس) مشتقّة من لفظتين يونانيتين δέρμα و ἀσκός ومعنى كليهما الجلد والاديم. لكنّ هذا الاشتقاق غريب في بابه لانّ اسم دمشق ليس بيونانيّ ولعلّ اسطفان البوزنطي كان يعرف صورة اسم دمشق الآرامية فظنّها يونانية

واذا استقرينا العرب وجدنا ان اسم دمشق القديم هو الشائع عندهم وإن اطلقوا على العاصمة اسم القطر كله فدعوها باسم الشام كما اطلقوا اسم مصر على مدينة القاهرة وهو اسم الصقع المصري. ولئلا يلتبس الاسم على القارئ قد جمع العرب بين الاسمين فقالوا دمشق الشام. قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥٨٧). « سميت بذلك لانهم

انّنا لا نرضى بتفسير هتزيغ (Hitzig, *ZDMG*, *VIII*, 222) الذي ارتأى انّ اشتقاق دمشق من كلمة سنسكريتية معناها « العين الحمراء ». وزعم غيرهُ انّ معناها الارض الحمراء. وذلك لا يوافق الواقع لانّ ارض دمشق وما حولها سوداء. والارجح عندنا ما رواهُ رتسلوب (Retslob) في المجلة الاسيوية الالمانية (ZDMG, XVI, 716) وهو ان دمشق لفظة آرامية مُعانة اصلها « مشق » يتقدّمها د النسبة في هذه اللغات ومعناها الارض المزهرة والحديقة

دَمْشقوا في بنائها اي اسرعوا ». ولا حاجة الى تنبيه القرّاء على ما في هذا الاشتقاق من التعسُّف

ومما كتبهُ الشريف الادريسيّ (ed. Gildmeister p. 14) ما حرفهُ: « مدينة دمشق مُحدثة وانما كان بالقديم من مواضعها موضع يسمّى الجابية وذلك في ايام الجاهليّة وبُنيت دمشق عليها » وهذا القول يردُّهُ التاريخ الصادق ولعلّ الادريسي رواهُ وهماً باسم احد ابراب دمشق ذكرهُ بُعيد ذلك. والصواب انّ الجابية مدينة معروفة (١ للوك غسّان جعلوا فيها تخت ملكهم وموقعها بين دمشق والمزيريب على مسافة بعض اميال من المزيريب في شماليها الغربي. واسمها باقٍ حتى اليوم

٢

هذا وقد بقي اسم آخر زعم البعض انّ دمشق عُرفت بها في سالف الزمان عنى بذلك « جلّق »

فاذا امعنّا النظر في هذا الاسم وجدناهُ بعيداً عن الاسماء السابق ذكرها بُعد الثريّا عن الثرى. وقد رأينا انّ بين تلك الاسماء شبهاً عظيماً (اللهمّ الّا الاسم الاشوري امريشو) وان مرجع الاسم على اختلاف صورتهِ عند الامم القديمة الى الحروف الاربعة « د م س ق » مع اختلاف بعض حركاتها واقحام الراء فيها. امّا اسم « جلّق » فليس فيهِ من اسم دمشق غير حرفهِ الاخير

واذا بحثنا عن اصل اسم جلّق لا نجد في اشتقاقها ما يدلُّ على عاصمة الشام او على شيء من صفاتها قال ياقوت (٢ : ١٠٤): « جلّق هي لفظة اعجميّة ومن عرّبها قال هو من جَلّقَ رأسهُ اذا حلقهُ » وقد ذكر ياقوت هذه الرواية دون ان يصادق عليها. فليس اذن في اشتقاق لفظة جلّق ما يُجيبنا الى القول بانها هي دمشق

وهل يا تُرى من نصّ صريح لقدماء الكتبة يزيل الابهام ويقضي بالامر فدعنا نستقري تآليف جغرافيي العرب: ولا شكّ ان اوسعهم وصفاً لدمشق هو ياقوت في معجم البلدان لكنهُ في اثناء كلامهِ عن عاصمة الشام لا يشير الى تسميتها بجلّق(٢ وسكوتهُ

---

١) راجع معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٠٢). واعلم انّ الادريسيّ لم يدخل بلاد الشام

٢) وكذا قُل عن المقدسيّ واليعقوبيّ وابن الفقيه والمسعوديّ والاصطخريّ وابن حوقل وابن جبير الخ. ولا اثر لذكر جلّق في وصفهم لعاصمة الشام

هذا يكفي للدلالة على بطلان رأي من زعموا انَّ جلّق هي دمشق

هذا واذا تصفَّحنا في باب الجيم ما كتبهُ عن « جلّق » وجدنا فيهِ ما يؤيد رأينا بدلًا من ان يضعفهُ ودونك قولهُ:

« وهو (جلق) اسم لكورة الغوطة كلها وقيل بل هي دمشق نفسها وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق وقيل صورة امرأة يجري الماء من فيها في قرية من قرى دمشق قال حسّان بن ثابت:

فله درّ عصابة نادمتهم يومًا بجلّق في الزمان الاول »

أفلا يرى القارئ انَّ ياقوتًا يقدّم الرأي الاغرب عندهُ على مألوف عادتهِ اعني انهُ يعتبر جلق كاسم لكورة الغوطة ثمَّ يذكر الاقوال المتضاربة التي وردت فيها تاركًا عهدتها على اصحابها. امَّا استشهادهُ بقول حسّان فلا يدلُّ كما ترى على كون جلق هي دمشق بل على انَّ اسمها ورد في الشعر القديم (١

واذا طالعنا الجغرافيين الذين سبقوا عهد ياقوت وجدناهم كلهم يوافقون رأينا فان البكري في « معجم ما استعجم » (ص ٢٤٢) لا يزيد على ذكر جلق سوى قولهِ « موضع بالشام » وكلام الهمذاني في صفة جزيرة العرب اصرح فانهُ يذكر جلق في ديار جزيرة العرب. امَّا دمشق فانهُ ضرب الصفح عنها في كتابهِ لانها ليست في جزيرة العرب. وهذا قولهُ (ص١٧٩): « وحسمى وصيداء وحارب وجلّق ديار غسّان »

فكيف يسوغ بعد ذلك ان يقال انَّ جلّق هي دمشق وهل ينبغي العاقل حكمهُ على « قيل » دون بيّنة تنفي الشبهات

ولعلَّ قائلًا يقول انَّ الشعراء الاقدمين كحسان والنابغة الذبياني ذكروا جلق واطلقوا هذا الاسم على دمشق

نجيب على هذا الاعتراض: (اولًا) انَّ المعوَّل في تحديد البلدان وتعريف اوضاعها لا يؤخذ عادةً من الشعراء لانَّ الشعراء في قصائدهم يرخون لقريحتهم عنان المخيّلة فليس كلامهم حجة مقنعة. وكثيرًا ما تراهم يبدلون كلمة من اخرى ويأخذون العامّ بدلًا من الخاصّ وغير ذلك من الجوازات الشعريّة. وهكذا وهم المقتطف مؤخرًا اذ استند الى بيت من شعر ڤيرجيل ليبيّن « انَّ الاقدمين لم يعرفوا اللون الازرق » (كذا). ولو اتانا الأخصام بنصّ قديم تاريخيّ لألقمونا الحجر

---

١) وفي كتاب مراصد الاطّلاع (١ : ٣٢١) وهو مختصر ياقوت قد ذكر رأي القائلين بان جلق هي دمشق في الاخير كأنَّهُ لا يستحق ان يُعبأ بهِ

(ثانياً) هذا اذا افترضنا ان كلام الشعراء واضح لا يترك مجالاً للابهام . ولكن هيهات ان نجد في قصائدهم مثل ذلك . فانَّ حسان بن ثابت يقول في بيته السابق انهُ « نادم ملوك غسان في جلّق » فهل ينتج من ذلك ان جلّق هي دمشق ؟ ويقول النابغة في مديحهِ لبني غسّان :

لئن كان للقبرين قبرٌ بجلّق وقبرٌ بعيداء التي عند حارب

فاين وجد المعترض انَّ النابغة اطلق في هذا البيت اسم جلّق على دمشق ؟

هذا ولا نجهل انَّ بعض الشعراء المحدثين ارادوا بجلّق عاصمة الشام نفسها . وانما ذلك هو من باب المجاز المرسل ليس الّا

وبقي اعتراض اخير اخذهُ اخصامنا من معاجم اللغويين كتاج العروس ولسان العرب . فجوابنا على هذا المشكل كجوابنا على السابق وهو انَّ اصحاب المعاجم لا يبتُّون في ذلك حكماً وانما يثبتون كلَّ ما « قيل » . واذا وجدتَ منهم بعضهم يوحدون بين دمشق وجلّق فذلك محض اختلاق لا سند لهُ في التآليف القديمة كما بيَّنا . ولعلَّهم عثروا على بيت شعر حديث ورد فيهِ اسم جلّق مجازاً بمعنى دمشق فشرحوهُ على مقتضى الحال . وقد قلنا انَّ المعوَّل في هذه الامور على القدماء لاسيما المؤرخين والجغرافيين لا على بعض الشعراء المحدثين الذين لا تقوى اقوالهم على نقض براهيننا السابقة

واذا اضفنا الى هذه الادلة رأي المستشرقين وجدناهم لسانًا واحدًا في تأييد قولنا نخصُّ منهم بالذكر كوسين دي پرسڤال في « كتاب تاريخ العرب في الجاهليَّة » وسانفورينتي في شرحهِ على اسفار ابن بطوطة ونولدك في كتاب « تاريخ ملوك غسان »

ونختم هذه النبذة بشهادة كاتب شهير من اقدم مؤرخي الاسلام وهو حمزة الاصفهاني (١ فانهُ يقول في الباب السابع من تاريخهِ حيث سرد اخبار الغسانيين ما حرفهُ : « ولمَّا ملك جفنة قتل ملوك قضاعة . . . وبنى جلّق والقرية وعدَّة مصانع »

فهل يقول المعترض انَّ جفنة المذكور بنى دمشق ودمشق كانت قبلهُ بنحو ٣٠٠٠ سنة ؟ . فان قنع بعد ذلك اخصامنا بقولنا فنعمت والّا فلا يبقى لنا الّا الهتاف : لا حول ولا قوَّة الّا بالله . والعياذ بالله من المعاندين

(١ راجع ص ١١٦ من طبعة طرسبرج . واعلم انَّ حمزة عاش في القرن العاشر للمسيح . وشهادتهُ تُبطل قول كاتب آخر كتب بعدهُ بنحو ٦٠٠ سنة وهو شمس الدين الدمشقي الذي لا يوثق بهِ في تخطيط البلدان